المنهج الحولي واثره في رؤية المؤرخ ابن الاثير للدولة الفاطمية في المغرب من سنة (٢٩٦ ـ ٣٥٨هـ/٩٠٨ ـ ٩٦٩م)

م.د. نضال غالي يوسف الشافعي

وزارة التربية ـ المديرية العامة لتربية النجف الاشرف

الملـخّـص

اهمية المنهج الحولي واثر ذلك المنهج على رؤية المؤرخ ابن الاثير في كتابته لتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، حيث دون ابن الاثير تاريخ الفاطميين عامة وتاريخ الفاطميين في المغرب خاصة بشكل حولي رتبه على السنين سنة بعد اخرى مع ذكره الى المصادر التي استقى منها معلوماته وقد عد هذا المنهج منهجاً متطوراً عن ما سبقه به المؤرخون الاسبقين له فق بينت الباحثة ماهية المنهج الحولي وكيف المؤرخ قد طوره لما حذف الاسانيد التي كان يستخدمها رواة الحديث حيث قدم المعلومة بشكل سهل وموجز ومرتب على السنين كما زودنا بمعلومات كانت غاية في الدقة والاهمية عن وجود الفاطميين في المغرب .

الكلمات المفتاحية: المؤرخ، ابن الاثير، الدولة الفاطمية، المغرب، المنهج الحولي .

Summary

The annual curriculum and its impact on the vision of the historian Ibn al-Atheer of the Fatimid state in Morocco from the year (296-358 AH / 908-969 AD).

The importance of the yearly approach and the impact of that approach on the vision of the historian Ibn al-Athir in his writing of the history of the Fatimid state in Morocco, where Ibn al-Athir wrote down the history of the Fatimids in general and the history of the Fatimids in Morocco in particular in a yearly form arranged according to the years, year after year, with mention of the sources from which that date was transmitted.

key words: Historian, Ibn al-Atheer, Fatimid state, Morocco, al-Hawli approach.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على ابو القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

وبعد .. يعد تاريخ الدولة الفاطمية تاريخاً حافلاً بالأحداث السياسية والمنجزات الحضارية والعمرانية التي انجزها الخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر على مدى قرنين ونصف من الزمان والتي لازالت مآثرهم قائمة الى وقتنا هذا. الامر الذي شجع الكثير من مؤرخي مختلف الدول الاسلامية بالكتابة عن تاريخ الدولة الفاطمية منذ مراحل تأسيسها وحتى نهايتها في سنة ٥٦٧ه/ ١١٧١م، فكانت كتاباتهم تتراوح ما بين قادح ومادحاً لهم الامر الذي شجعني بالكتابة عن احد هؤلاء المؤرخين الا وهو المؤرخ ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ)، فجاءت دراستي بالبحث الموسوم (المنهج الحولي واثره في رؤية المؤرخ ابن الاثير للدولة الفاطمية في المغرب من سنة (٢٩٦ـ ٣٥٨ه/ ٩٠٨ـ ٩٦٩م)، وذلك لأهمية تلك الدراسة لان المؤرخ ابن الاثير هو احد اعمدة المدرسة التاريخية في العراق الذي بزغ نجمه في القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد)، فكان له منهجاً واسلوباً ميزه عن غيره من مؤرخي ذلك العصر.

و وقف وراء اختياري للموضوع هو معرفة المنهج الحولي واثره في رؤية المؤرخ ابن الاثير الجزري في كتابته لتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب.

اما السبب الاخر هو ان المكتبات الأكاديمية تفتقر الى هكذا دراسة تبحث عن كيف كتب المؤرخ ابن الاثير تاريخ الفاطميين في المغرب لغرض فتح آفاق العلم امام

الراغبين به.

جاءت دراستي للموضوع بشكل محاور: المحور الاول السيرة الذاتية للمؤرخ ابن الاثير المحور الثاني المنهج الحولي. المحور الثالث منهج المؤرخ ابن الاثير في كتابته للفاطميين.

المحور الاول

السيرة الذاتية للمؤرخ ابن الاثير

نشأته:

ابو الحسن، علي بن ابي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني والملقب بعز الدين، والجزري نسبة الى الجزيرة التي ولد فيها سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، الا وهي جزيرة ابن عمر[١].

وأما ابن الاثير فهو نسب يعود الى والده الذي كان اثيراً عند الأتابك قطب الدين مودود بن عماد الدين الزنكي امير صاحب الموصل (ت ٥٦٩هـ).

نشأ مع اخوته بها، الوزير ضياء الدين، والعلامة مجد الدين، حيث كان اوسط الاخوة الثلاثة، في ظل اسرة شجعت ابنائها على العلم والمعرفة.

بدأ ابن الاثير طفولته في التعلم بكتاتيب جزيرة ابن عمر فدرس مبادئ القراءة والكتابة، ودرس العلوم الاخرى كالفقه، والحديث، والحساب، والمنطق، والنجوم، والتاريخ[٢].

انتقل ابن الاثير مع والده واخوته الى الموصل سنة ٥٧٦ه، لتلقي العلم والعمل وذلك عندما اعفى والده من ولايته لجزيرة ابن عمر. فسمع من الخطيب ابو الفضل عبد الله احمد الخطيب الطوسي.

وفي سنة ٥٨٤ه، اشترك في حروب صلاح الدين ضد الصليبيين في سوريا

[٣]، ثم اراد الاستزادة في طلب العلم ولاسيما الحديث والتاريخ عندما ذهب الى بغداد مرة حاجاً ومرة اخرى رسولاً من امير الموصل فسمع فيها من الشيخين ابو احمد عبد الوهاب بن علي الصوفي، وابو القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي والشيخ عبد الوهاب بن سكينة، ثم رحل الى الشام والقدس وسمع بها من ابو القاسم بن صصرى والشيخ زين الامناء [٤].

وفي سنة ٦٢٦ه، التقى ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، مع ابن الاثير في حلب وذلك عندما كان في ضيافة شهاب الدين طغريل اتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر(ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) امير حلب فأعجب بفضائله وكرم اخلاقه وكثرة تواضعه فتردد عليه كثيراً وظل ملازماً له حتى عندما سافر من حلب الى دمشق وذلك في سنة ٦٢٧ه، وقد قال عنه المؤرخ ابن خلكان " كان ابن الاثير من حفاظ الحديث وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم واخبارهم[٥].

وبعد ذلك اقام ابن الاثير قليلاً في دمشق ثم رجع الى الموصل التي كان له بها مكانة مرموقة عند ملوكها حتى انه وزر لبعض منهم وليس هذا فحسب انما اصبح مشهوراً بعلمه الذي شهد به القاصي والداني وبصدد ذلك فقد قال عنه المؤرخ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، كان اماماً في حفظ الحديث، علامة، اديباً متفنناً، محتشماً، حيث كان منزله مأوى لطلبة العلم والمعرفة وفي اخر ايامه انقطع انقطاعاً تام لدراسة وكتابة الحديث الى ان توفاه الاجل في الموصل سنة ٦٣٠ه [٦].

آثاره :

ترك المؤرخ ابن الاثير كنوز من درر المعرفة وذلك من خلال مؤلفاته التي

الفها وتركها لكل طالب علم يريد ان يستقي منها فمن تلك المؤلفات: ــ

١ــ اخبار الصحابة او قيل (معرفة الصحابة) وهو الذي عرف بـ اسد الغابة في اسماء الصحابة في ست مجلدات كبار، وهذا الكتاب كان حافلاً بأخبار الصحابة حيث جمع فيه بين كتاب ابن نعيم، وكتاب ابن منده، وكتاب ابو موسى، وكتاب ابن عبد البر.

٢ــ اختصر كتاب الانساب: لأبي سعد عبد الكريم السمعاني حيث عمل له استدراك ونبه على الاغلاط التي فيه واهمل الاشياء الزائدة التي ليس لها فائدة وزاده عليه اشياء الى النصف او اقل حيث قال عنه المؤرخ ابن خلكان :" هو كتاب مفيد جداً واكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر وهو في ثلاث مجلدات والاصل ثمانية وهو عزيز الوجود ولم اره سوى مرة واحدة بمدينة حلب ولم يصل الى الديار المصرية سوى المختصر " [٧].

٣ــ كتاب تاريخ الموصل.

٤ــ وفي التاريخ صنف كتاباً كبيراً سماه الكامل في التاريخ وهو من احسن وافضل مصنفاته [٨]. فقد كان يضاهي كتاب ابو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، في شهرته وليس هذا فحسب انما يعد من المصادر الموثوقة في التاريخ الاسلامي واسهلها [٩].

كان ولايزال سفرٍ خالداً غضاً طرياً يستقي من دره اهل العلم واخص بالذكر المتخصصون بعلم التاريخ.

كتاب الكامل في التاريخ

كتب فيه التاريخ العام العالمي منذ خليقة الله لآدم عليه السلام وحتى احداث سنة ٦٢٨ه/ ١٢٣٠م.

ذكر المؤرخ ابن الاثير في مقدمة كتاب (الكامل في التاريخ) الدافع الذي شجعه على وضع مؤلفه قائلاً: " فاءني لم ازل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها مائلاً الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطولٍ قد استقصى الطرق والروايات ومختصرٍ قد اخل بكثير مما هو آت. ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسود كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التي الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها احرى. وقد ارخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه واضاف المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقي منهم قد اخل بذكر اخبار الغرب والغربي قد اهمل احوال الشرق فكان الطالب اذا اراد ان يطالع تاريخاً احتاج الى مجلدات كثيره وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال "[١٠].

سبب تسمية هذا الكتاب بـ(الكامل في التاريخ) فيقول المؤرخ عز الدين ابن الاثير :" ولقد سميته اسماً يناسب معناه وهو (الكامل في التاريخ)، وقد جمع فيه حسب قوله اخبار ملوك الشرق والغرب [١١].

تميز كتاب (الكامل في التاريخ)، باتزانه في تدوين الفترة الشاملة التي اهتم بدراستها وتسليط الاضواء عليها فهو في تاريخ قبل مجيء الاسلام فقد دون خلق العلم وتاريخ بني اسرائيل مع تاريخ الفرس ثم عرج الى قصص النصارى ثم الى تاريخ العرب في الجاهلية ثم يدخل في تاريخ حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله ويستمر بذكر

احداث التاريخ الاسلامي في كل مراحله التي جاءت ما بعد وفاة النبي محمد ﷺ .

وليس هذا فحسب انما المؤرخ ابن الاثير يعرب عن اسفه لأنه كان في مدينة الموصل ولابد من اغفاله لكثير من احداث التاريخ على السواء في الشرق والغرب. وبالرغم من ذلك فأنه بذل جهد في مراعاة توازن معقول بين الاحداث في جميع انحاء العالم الاسلامي [١٢].

وذكر ايضاً انه اعتمد في تأليفه اولاً على المؤرخ ابي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، حيث قال عنه :" هو الامام المتقن الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً " وباقي المؤرخين لم يذكر اسمائهم فقط قال: اني لم انقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه " [١٣].

وذكر المؤرخ ابن الاثير انه اهمل كتابه الكامل في مسوداته ولم يجعله كتاب لمدة طويلة بالرغم من الحاح المقربين له وطالبي علم التاريخ الى ان امره الملك الرحيم السلطان بدر الدين ابو الفضل لؤلؤ الارمني النوري الاتابكي (ت ٦٢٢ه)، مملوك السلطان نور الدين ارسلان بن السلطان مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر امير الموصل بالاجتهاد في تبيضه [١٤]. فأستجلب الى طلبه وبيض اوراقه ككتاب استفادة منه الجميع.

المحور الثاني

المنهج الحولي واثره في رؤية المؤرخ ابن الاثير للدولة الفاطمية في المغرب (٢٩٦ـ ٣٥٨هـ/٩٠٨ ـ ٩٦٩م)

المنهج الحولي (المنهج العمودي)

نظراً لوجود مادة كبيرة وعظيمة في مجالات السياسة، والعلوم، والثقافة والتي عدت جديرة بالتدوين كجزء من التاريخ اصبح من الضروري ايجاد مبادئ من التنظيم في العملية التاريخية فكانت ابرز تلك المبادئ التي اتبعها المؤرخون العرب ما يسمى بالمنهج الحولي او المنهج العمودي. ما المقصود به ؟

هو احد المنهجين (العمودي والافقي) اللذين اتبعهما المؤرخ العربي في كتابته التاريخية. ونعني بالمنهج الحولي هو تدوين الاحداث التاريخية سنة فسنة أي بحسب السنين [١٥].

اما الرؤية: هي المعرفة وادراك عقلي عميق ومتجذر[١٦]. والرؤية التاريخية هي مقدرة صاحبها على ادراك حركة التطور والى اين تتجه والمقدرة على توافق هذا الاتجاه مع ذاك وعدم التصادم معه أي انها رؤية تاريخية تحتاج الى اشخاص من نوعية خاصة ويعني هذا ان يكون المؤرخ ذا بصيرة نافذه ينفذ من خلالها الى الماضي ويحاكي الاحداث التاريخية حسب رؤيته اليها [١٧].

السؤال الملفت للانتباه هل يؤثر المنهج بالرؤية ام العكس ؟ والاجابة على هذا السؤال ان المنهج هو من يؤثر بالرؤية لا بل يكون تأثيره بشكلٍ كبير وفاعلٍ لأنه الآلية

التي يبلغ بها المهتم بكل العلوم غايته، ومنهم مؤرخو التاريخ وعلى اسس هذه الآلية وتطورها تختلف وتتغير الرؤية عند مؤرخي التاريخ اتجاه الوقائع التاريخية

مر المنهج (الحولي والموضوعي) بتطورات اوصلتهما الى مرحلة النضج والابداع ولاسيما في القرنيين الهجريين (الرابع والخامس / العاشر والحادي عشر للميلاد)، اللذين بلغا فيهما الفكر العربي مرحلة متطورة ليس في التاريخ فحسب انما في كافة فروع المعرفة [١٨].

مصادر المؤرخ ابن الاثير في كتابته للدولة الفاطمية في المغرب

مر المنهج على سواء(الحولي والموضوعي)، بمراحل متسلسلة ومتكاملة كلما ضبطت الآلية التي تعبر عن عصرها اعطت نتائج جيدة ومهمة على مستوى الفكر وعبرت عن تطوره، واول هذه المراحل هي جمع المؤرخ لمادته من مصادرها المتنوعة.

فالمؤرخ ابن الاثير بالرغم انه عرف عنه كان ضنين جداً بذكر مصادره التي اعتمد عليها في كتابة تاريخه عامة وتاريخ الدولة الفاطمية (٢٩٧ـ ٥٦٧هـ/ ٩٠٩ـ ١١٧١م)، خاصة فقد ذكر بعض مصادره المهمة في تدوينه للأحداث التاريخية فمن تلك المصادر:

أـ الرواية الشفوية:

ونعني بها رواية الحدث التاريخي وفق رؤية وتجارب وشعور من عاشوه وهي احد المصادر الاولية للمعرفة التاريخية التي اعتمد عليها المؤرخ [١٩]، واخص بالذكر المؤرخ ابن الاثير اعتمد عليها في كتابته لتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ولكن كان

اسلوبه في استعمال الرواية الشفوية مميز ومغايراً عن المؤرخين الذين سبقوه لأنه لم يعتمد على سلسلة رواة نقل الحديث بصورة مباشرة لأن ابن الاثير عاش في القرن السادس الهجري واحداث الدولة الفاطمية في القرن الثالث والرابع الهجريين انما من خلال اللقاء مع من له اخبار موثقة لاشك في صحتها عن الفاطميين وتدوينها في مؤلفه كما هو الحال عندما اراد ان يوثق نسب الفاطميين(٢٠). كتب اولاً جميع ما دونه المؤرخين الذين سبقوه عن نسبهم ولكن ارتاب وشك في صحة اقوالهم فاراد ان يتحقق من صحة ذلك النسب فكانت مصادره في ذلك هي الرواية الشفوية ولكن ليس بالرجوع الى سلسلة رواة الحديث كما اسلفنا انما بالسؤال مباشرة للذين لهم باع طويل في علم الانساب واخص بالذكر النسب العلوي فقال ابن الاثير:" وسألت أنا جماعة من اعيان العلويين في نسبهم فلم يرتابوا في صحته " (٢١).

فنجد ابن الاثير عندما يذكر موضوع النسب للدولة الفاطمية في كتابة الكامل لا يصحح النسب فحسب بل هو متعاطف مع هذه الدولة بشكل كامل فهو يمدح ملوكهم ويبرز محاسنهم ولا يذكر عيوبهم ويؤكد ذلك في كل مرة يترجم فيها لأحدهم بقوله " الخليفة العلوي " (٢٢).

وهنالك اسلوب آخر بالرواية الشفوية هي النقل من شهود الحادثة التاريخية وذلك من بحث المؤرخ عن الحقيقة وليس في مجالس العلم التي اختصت بها طريقة الاسناد وهذه الطريقة تسمى بالتسجيل الحدثي(٢٣)، لأنها تشترك مع الطريقة الاولى في ان احد جوانبها سماع والراوي يكون ليس شاهد عيان انما يكون قريب من الحادثة الواقعة سواء في الزمن ام في المكان.

فالأخبار التي ينقلها الناس عن الواقعة تكون متباينة ومتناقضة الروايات

سواء في الاهتمام ام في المواقف لذا يقع على المؤرخ تشذيبها وتصحيحها واختيار ما يعتقده صحيحاً ومهما يكن تسجيله فأنه يقدم خدمة للتاريخ ولكن في الوقت نفسه اضاع الكثير من الاحداث التاريخية.

ويمكن استعمال هذه الطريقة مع عدم وجود راوٍ[٢٤]، كما هو الحال عندما ذكر المؤرخ ابن الاثير ارسال المهدي العلوي العساكر الى مصر سنة ٣٠٦ه، قال: " ووردت الاخبار بذلك الى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤنساً الخادم في شعبان فوصل الى مصر وكان بينه وبين القائم [الفاطمي] عدة وقعات " [٢٥].

ب ــ الكتب المؤلفة

تعد هذه الكتب مهمة جداً في كتابة التاريخ وذلك لأنها الكتب التي ألفها المؤرخين السابقين واعتمد عليها المؤرخين اللاحقين عامة والمؤرخ ابن الاثير خاصة في النقل منها ولاسيما في المواضيع التي تكن المعلومات عنها قليلة.

عادةٍ ابن الاثير لم يكن يصرح عن مصادره التي استقى منها معلوماته الا القليل منها فمن مصادره التي صرح عنها في كتابته للدولة الفاطمية في المغرب هو كتاب الامير عبد العزيز[٢٦]، (تاريخ افريقية والمغرب)، الذي اقتبس منه قول الامير عبد العزيز عن نسب الفاطميين حينما قال :" ان نسبه معروف في اليهودية " ثم يكتب ابن الاثير في مؤلفه رأيه في كتابة الامير عبد العزيز فيقول :" وقد استقصى ذكر ابتداء دولتهم وبالغ وانا اذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه وما عداه فقد احسن فيما ذكر " [٢٧].

بالرغم ان ابن الاثير قد اعتمد على كتاب تاريخ افريقية والمغرب ولكن رد عليه بقضية نسب الفاطميين لأنه كان متأكداً من صحة نسبهم.

اما الكتاب الاخر الذي اعتمد عليه ابن الاثير في نقله منه اخبار الدولة الفاطمية في المغرب لم يذكر اسمه ولكن ذكر اسم مؤلفه وهو ابو القاسم الابيض العلوي علي بن ابراهيم النسيب (ت ٥٠٨هـ)[٢٨]، وهذا الشيء ملفت للانتباه، لماذا لم يصرح باسم الكتاب ؟ وللإجابة على السؤال. لربما اظهر ابو القاسم العلوي مجاراته للسلطة العباسية الحاكمة فأشاع بين الناس انه من اهل السنة والجماعة [٢٩]. لذلك أقتبس منه ابن الاثير بعض النصوص حول نسب الفاطميين عندما قال :" ان الامام الذي في سلمية مات ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد عبيد الله وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل، وزوجه ابنة عمه ابو الشلغلغ"[٣٠].

ومهما يكن الامر من شيء فأن ابن الاثير ما خلا هذين المصدرين لم يذكر في المصادر التي استعان بها في كتابته لتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب.

المحور الثالث

منهج المؤرخ ابن الاثير في كتابته للدولة الفاطمية في المغرب

ذكر ابن الاثير في مقدمة مؤلفه (الكامل في التاريخ)، منهجه الذي سلكه في كتابته لمؤلفه قائلاً :" فلما رأيت الامر شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان وآتي فيه بالحوادث والكائنات من اول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضاً الى وقتنا هذا" (٣١).

وقد وضح منهجه الذي سلكه عندما ذكر مؤاخذاته على المؤرخين الذين سبقوه قائلاً:" ورأيتهم ايضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر اشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت انا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر او سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد اخذ بعضها برقاب بعض. وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها " (٣٢).

هذا وان دل على شيء انما يدل على ان علم التاريخ الحولي شكلاً تخصيصاً من علم تاريخ السنين وهو كما يدل اسمه يخضع لتعاقب السنين الواحدة تلو الاخرى، فكان ابن الاثير يجمع الحوادث في كل سنة ويربط بينهما في كلمة ((وفيها ...))، أي في السنة نفسها (٣٣)، فمن جملة ما ذكره عن اخبار الدعوة الفاطمية في المغرب هو مقتل ابو عبد الله الشيعي واخيه ابو العباس الداعيان للفاطميين قال :" في سنة ثمان وتسعين ومائتين قتل ابو عبد الله الشيعي قتله المهدي عبيد الله وسبب ذلك لما استقامت له البلاد. وكف يد ابي عبد الله واخيه ابي العباس داخل ابي العباس

الحسد"(٣٤).

وعندما دون اخبار ارسال المهدي الفاطمي العساكر الى مصر سنة ٣٠٦هـ، قال:" وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب افريقيا جيشاً كثيفاً مع ابنه القاسم وسيرهم الى مصر وهي المرة الثانية ... " (٣٥).

والشيء الملفت للانتباه ان المؤرخ ابن الاثير اهم ما يميز منهجه كان حينما يذكر الخبر يمهد له بمقدمه موجزة تذكر القارئ بما كان قد رواه مسبقاً فيتيح للقارئ ان يربط بين خيوط الخبر وفي الوقت نفسه يميز الخبر بتلخيصه اولاً ثم سرده مفصلاً وفضلاً عن هذا ينبه القارئ بوجود بقية للخبر اذا كانت له بقية او انقضاء حادث مهم كسقوط دولة ما او غير ذلك وخير مثال على ذلك عندما ذكر طاعة اهل صقلية للمقتدر وعودهم الى طاعة المهدي العلوي قال :" قد ذكرنا سنة سبع وتسعين ومائتين، استعمال المهدي علي بن عمر على صقلية فلما وليها كان شيخاً ليناً فلم يرض اهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم وولوا على انفسهم احمد بن قرهب " (٣٦).

وليس هذا فحسب انما اهتم بأخبار صقلية بشكل ملفت للانتباه حيث دُون في تاريخه اغلب اخبارها واخص بالذكر احداث ولاية الفاطميين عليها التي كانت متأرجحة بين الدخول في طاعتهم وبين التمرد ضدهم فمن جملة الاخبار التي ذكرها ابن الاثير في احداث سنة ٣١٣هـ، قائلاً :" في هذه السنة سار جيش صقلية مع اميرهم سالم بن راشد وارسل اليهم المهدي جيشاً من افريقية الى ارض انكبرده[بلاد واسعة بين القسطنطينية والاندلس] ففتحوا غيران وأبرجة وغنموا غنائم كثيرة.."(٣٧).

ولم يكتفي بذلك انما دُون اخبار صقلية في السنوات التالية((٣٢٣ه، و ٣٢٥ه،

و ٣٣٦هـ، و ٣٤٠هـ، و ٣٤٤هـ)) [٣٨]. ولعل السبب يعود في اهتمامه بصقلية ومعرفة اخبارها وتدوينها هو بسبب اهتمام الخلافة العباسية بها التي كانت المحرض الاول لأمراء صقلية بتمردهم على المهدي الفاطمي فكان من السهولة الحصول على اخبارها التي تصل الى عاصمة العباسيين بغداد.

زودنا ابن الاثير بمعلومات كانت على غاية من الاهمية والدقة وهي دور الداعي ابو عبد الله الشيعي (ت٢٩٨هـ)، والعمليات العسكرية التي قادها في افريقية من اجل تهيأت الامور وتسليمها الى المهدي الفاطمي فعندما ذكر احداث سنة ٢٩٦هـ، ومنها دخول ابو عبد الله الى رقادة وقد كتبها بكل دقة حيث ذكر السنة التي حدث بها الحدث واليوم والشهر فقال :" ودخل رقادة يوم السبت مستهل رجب من سنة ست وتسعين ومائتين فنزل ببعض قصورها وفرق دورها على كتامة ..."[٣٩] دقة المعلومات تدل على انه استقى معلوماته من مصدر كان معاصر لتلك الاحداث ولربما يكون القاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ) مؤرخ الدولة الفاطمية الذي شاهد وكتب الكثير من الاحداث التي عاصرها ولكن ابن الاثير لم يشير اليه !

من البديهيات المسلم بها ان علم التاريخ قد نشأ وترعرع بأحضان علم الحديث حيث كان الراوي يروي الخبر بسنده وهي سلسلة الرواة الذين رو الحديث او الخبر ومنهم المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ)، الذي يعد اوائل المؤرخين الذين وثقوا احداث التاريخ بطريقة اهل الحديث ولكن المؤرخ ابن الاثير لم يسلك منهج الطبري في توثيقه للأخبار انما حذف السند والتفاصيل التي وجدها لا داعي اليها لأنه عدها تشعر القارئ بالملل فسلك منهج التوثيق المباشر للأحداث فمثلاً في اخبار سنة ٣٠٣ه، عندما بني المهدي مدينة المهدية التي سميت باسمه قال :" في هذه السنة خرج المهدي بنفسه الى تونس وقرطاجنة يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة

فلم يجد موضعاً احسن ولا احصن من موضع المهدية وهي جزيرة متصلة بالبر. فبناها وجعل لها سوراً محكماً وابواباً عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار"[٤٠].

وثق ابن الاثير اخبار بناء المهدي لمدينة المهدية والاهم من ذلك زودنا بمعلومات كانت غاية في الدقة عن دار الصناعة التي انشأت فيها حيث احتوت على تسع مائتي شيني أي كان فيها مصنع متكاملاً لصناعة السفن الحربية [٤١].

ان منهج ابن الاثير الذي سلكه لم يكتفي في توثيق اخبار كل سنة وما حدث فيها، انما اهتم بتوثيق الحوادث الصغار التي حدثت في تلك السنة وذكر ذلك في مقدمته قائلاً: فأما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فإني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول: (ذكر عدة حوادث) واذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل ايامه فإني اذكر جميع حاله من اوله الى آخره عند ابتداء أمره اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به " [٤٢].

ويمكن القول ان منهج ابن الاثير لم يكتفي بتوثيق اخبار الدولة الفاطمية عامة واخبارهم في المغرب خاصة في كل سنة فحسب انما اهتم بتوثيق الحوادث الصغار ايضاً للأسباب التي ذكرها في مقدمته. فمن تلك الحوادث الصغار التي ذكرها في اخبار الفاطميين في المغرب تحت عنوان(ذكر عدة حوادث) قال :" وفيها[سنة ٢٩٩ه] خالف اهل طرابلس الغرب على المهدي عبيد الله العلوي فسير اليها عسكراً فحاصرهم فلم يظفر بها فسير اليها المهدي ابنه " [٤٣].

ان المؤرخ ابن الاثير من خلال توثيقه للأحداث الصغار التي حدثت اثناء نشوء الدولة الفاطمية في المغرب فقد زودنا بمعلومات كانت في غاية الاهمية لم يذكرها المؤرخون الذين سبقوه وهي الاحوال العامة للناس ولاسيما احوالهم

الاقتصادية والمعاشية التي كانوا يعانون منها، والظواهر الجوية التي حدثت في بلادهم.

وبصدد ذلك ذكر ابن الاثير في احداث سنة ٢٩٩هـ. قائلاً :" فعدمت الأقوات في البلد [طرابلس] حتّى أكل أهله الميتة. ففتح البلد [القائم الفاطمي] عنفاً، وعفا عن أهله، وأخذ أموالاً عظيمة من الذين أثاروا الخلاف وغرّم أهل البلد جميع ما أخرجه على عسكره"(٤٤).

وذكر الظواهر الارضية التي حدثت في البلاد في المغرب في سنة ٣٠٠هـ فقال: "وفيها كانت زلازل بالقَيروان لم يُرَ مثلها شدّة وعظمة، وثار أهل القَيروان، فقتلوا من كُتامة نحو ألف رجل "(٤٥).

ولم يكتفي ابن الاثير في منهجه ان يوثق احوال البلاد والعباد فحسب انما وثق ايضاً اخبار من توفى من الاعيان والمشهورين في تلك السنة وذكر ذلك في مقدمته قائلاً :" وذكرت في آخر كل سنة من توفى فيها من مشهوري العلماء والاعيان والفضلاء (٤٦). فوثق وفيات الخلفاء الفاطميين جميعاً واخص بالذكر وفيات الفاطميين في المغرب ولاسيما وفاة القائم الفاطمي سنة ٣٣٤ه. تحت عنوان (ذكر وفاة القائم وولاية المنصور) فقال :" في هذه السنة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي العلوي صاحب إفريقية لثلاث عشرة مضت من شوال، وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل وتلقب المنصور بالله(٤٧).

الخاتمة

بعد ان بينا في مضان البحث المنهج الحولي واثره في رؤية المؤرخ ابن الاثير للدولة الفاطمية في المغرب اتضحت لنا بعض الامور كصياغة استنتاجية يفهم منها ما يأتي:

كتب المؤرخ ابن الاثير في مؤلفه (الكامل في التاريخ)، عن الدول الحاكمة عبر العصور كان من بينها الدولة الفاطمية الامر الذي شجعه على تدوين تاريخها لأنه وجدها دولة مترامية الاطراف منذ نشأتها حكمت المغرب أي كافة مناطق افريقية حتى وصل حكمها الى جزيرة صقلية التي دخلت تحت طاعتها ثم ملكت مصر حتى نهايتها سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، فأراد ابن الاثير تقصي اخبار طيلة سنوات حكمها.

وثق ابن الاثير اخبار الدولة الفاطمية في المغرب من مصادر اهل السنة والجماعة التي كانت قريبه من مذهبه فكان لهذا العامل له تأثير على كتابته.

استعمل المنهج الحولي في كتابته لكل تاريخ الفاطميين عامة ووجودهم في المغرب خاصة فتتبع اخبارهم سنة بعد سنة اخرى.

افرد ترجمة خاصة لكل خليفة فاطمي بعد موته حيث اعطى وصفاً دقيقاً لهم شملت صفاتهم وشمائلهم من الكرم والشجاعة هذا فضلاً عن منجزاتهم الثقافية والعمرانية حتى دُون نصوص الشعر التي قيلت من الشعراء بحقهم ولم يسئ لأي احد منهم.

بالرغم انه كتب في مؤلفه كل ما دونه المؤرخون الاسبقين اليه في القدح بنسب الفاطميين الا انه اراد التأكد من صحة نسبهم العلوي فتحرى عن ذلك بنفسه عندما

سئل من هم متخصصون بالأنساب العلوية وتبين له صحة ذلك النسب العلوي فبدأ ابن الاثير يكتب رأيه بعدما يكتب النصوص التي اقتبسها من كتب الاسبقين له فعندما نقل نص ان نسبهم يعود الى القداح اليهودي فكتب رأيه حالاً وعلق على اولئك المؤرخين عندما كتب عبارة ليت شعري ما الذي حمل ابا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في اظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الامر من انفسهم ويسلموا الى ولد يهودي وهذه العبارة تكتب للتعجب عند العرب وتعني ان ابن الاثير يؤكد رغبته في معرفة امرٍ خفياً يتمنى ان يكون حاضر آنذاك ويعلم السبب الذي حدا بهم الى قول خلاف الحقيقة وان كل واحد منهم مأثوم ومحاسب امام الله.

اثر المنهج الحولي الذي استعمله ابن الاثير في رؤيته للدولة الفاطمية في المغرب فقد كتب تاريخهم بقلم المؤرخ الذي لا يمكن القول انه كان منصفاً لهم انما كان حيادياً نوعاً ما في كتابة بعض الاخبار ومتحيزٍ لآل زنكي في اخبار اخرى ويبدو ان العامل السياسي حيث قربه وعمله عند آل زنكي له الاثر الاكبر على كتابته لتاريخ الفاطميين.

ان اسلوب الكتابة التاريخية عند ابن الاثير كان متطوراً الى حد بعيد حيث تم التخلي عن مسألة الاسناد في نقل الخبر التاريخي في مؤلفه واكتفى بتوثيق المادة التاريخية من خلال ايراده الخبر التاريخي.

* المصادر *

ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

١ــ الكامل في التاريخ، تحقيق: ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٨٧).

ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ).

٢ــ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر(بيروت ـ ١٩٠٠)

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)

٣ــ سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسين الاسد، مؤسسة الرسالة (بيروت ـ ١٩٩٣).

السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٦٥٠هـ)

٤ـ الانساب، تعليق: عمر البارودي، دار الجنان (بيروت ــ ١٩٨٨).

ابن عنبه، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ)

٥ـ عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، ط٢(النجف ــ ١٩٦١)

صلاح الدين الصفدي، خليل بن ايبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)

٦ـ الوافي في الوفيات، (بلا. م ـ بلا. ت).

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ)

٧ـ البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت ـ بلا. ت).

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)

٨ــــ اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث السلامي، ط٢(القاهرة ــ ١٩٩٦).

ياقوت الحموي، شهاب الدين، ابو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر(بيروت ـ بلا. ت) .

* المراجع *

١ــ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، دارالمعارف، ط٥ (القاهرة ـ د.ت).

٢ــ الحديثي، نزار عبد اللطيف، علم التاريخ عند العرب فكرته وفلسفته، المجمع العلمي العراقي (بغداد ـ ٢٠٠١).
٣ـ الحيدري، عباس عاجل، رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية، دار البصائر(بيروت ــ ٢٠١٠).
٤ـ روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت ـ ١٩٨٣) .
٦ـ العزاوي، عبد الرحمن حسين، المنهجية التاريخية في العراق، دار الشؤون الثقافية (بغداد ـ ١٩٨٨).
٧ــ الوافي، محمد عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، نشر جامعة قار يونس، ط٣ (بنغازي ـ ٢٠٠٨).

المجلات

١ــ انور، الخالدي، منهج الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد :ابن الاثير انموذجاً، مجلة المنارة، العدد: ١، مجلد ١٥، سنة ٢٠٠٩.

المواقع الالكترونية

١ـ الموقع الالكتروني الدليل al daleel-inst.com
٢ـ الموقع الالكتروني العربي alarabi.nccal.gov.kw
٣ـ الموقع الالكتروني وثيقة وطن wathiqat_wattan.org
٣ـ الموقع الالكتروني ويكبيديا الموسوعة الحرة. wikipeia.org.

* هوامش البحث *

١١) ابن عمر: بلدة بينها وبين الموصل مسير ثلاثة ايام واسعة الخيرات ولها رستاق ويحيط بها نهر دجلة من ثلاث جهات جميل قيل قيل اول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، وقيل انها نسبت الى يوسف بن عمر الثقفي والي العراق ولكن الاصح ان الذي بناها هو عبد العزيز

بن عمر من اهل برقعيد فأطلق عليها هذا الاسم. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين، ابو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر(بيروت ـ بلا. ت) ،ج٢، ص١٣٨ ؛ ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر(بيروت ـ ١٩٠٠)، ج٣، ص٣٤٩.

٢) انور، الخالدي، منهج الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد :ابن الاثير انموذجاً، مجلة المنارة، العدد: ١، مجلد ١٥، سنة ٢٠٠٩، ص١٣٩ .

٣) بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٥ (القاهرة ـ بلا. ت)، ج٦، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسين الاسد، مؤسسة الرسالة (بيروت ـ ١٩٩٣)، ج٢٢، ٣٥٣ .

٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٥٤ ؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمرو البصري (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت ـ بلا. ت)، ج١٣، ص١٣٩

٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٤٨.

٨) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت ـ بلا. ت)، ج١٣، ص١٣٩ ؛ صلاح الدين الصفدي، خليل بن ايبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، الوافي في الوفيات، (بلا. م ـ بلا. ت)، ج١، ص٣٠٤٨ .

٩) الوافي، محمد عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، نشر جامعة قار يونس، ط٣ (بنغازي ـ ٢٠٠٨)، ص٢٦٩.

١٠) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٨٧)، ج١، مقدمة الكتاب.

١١) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج١، ص٩ .

١٢) روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت ـ ١٩٨٣)، ص٢٠١ .

١٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، المقدمة.

١٤) متاح على الموقع الالكتروني ويكبيديا الموسوعة الحرة. .wikipeia.org

١٥) العزاوي، عبد الرحمن حسين، المنهجية التاريخية في العراق، دار الشؤون الثقافية (بغداد ـ ١٩٨٨)، ص٥٣.

١٦) مقال متاح على الموقع الالكتروني الدليل al daleel-inst.com

١٧) يحيى، الجمل، الرؤية التاريخية، مقال متاح على الموقع الالكتروني العربي، alarabi.nccal.gov.k

١٨) الحيدري، عباس عاجل، رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية، دار البصائر(بيروت ــ ٢٠١٠)، ص٧٣ .

١٩) متاح على الموقع الالكتروني وثيقة وطن wathiqat wattan.org

٢٠) نسب الفاطميين: اول الخلفاء الفاطميين هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. للمزيد ينظر: ابن عنبه، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، ط٢(النجف ــ ١٩٦١)، ص٢٣٥ .

٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٤٧، احداث سنة ٢٩٦ .

٢٢) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٤، ص٥٢٢ .

٢٣) الحديثي، نزار عبد اللطيف، علم التاريخ عند العرب فكرته وفلسفته، المجمع العلمي العراقي (بغداد ـ ٢٠٠١)، ص١٠٥.

٢٤) عاجل، عباس، رؤية المؤرخين، ص٧٥ ـ ٧٦.

٢٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٠١، احداث سنة ٣٠٦.

٢٦) الامير عبد العزيز: هو عز الدين ابو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المز بن باديس. ينظر: المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث السلامي، ط٢(القاهرة ــ ١٩٩٦)، ج١، ص٣٧.

٢٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٤٨، احداث سنة ٢٩٦.

٢٨) ابو القاسم الابيض العلوي: علي بن ابراهيم النسيب بن العباس بن الحسن بن العباس بن الحسن بن ابي الجن حسين بن علي بن محمد بن علي بن اسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر بن

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب العلوي الحسيني الدمشقي ولد سنة ٤٢٤ه كان خطيب دمشق وشيخها كان صدراً وسيداً محتشماً وثقة محدثاً ونبيلاً ممدوحاً لم مؤلف الفوائد مات في دمشق سنة ٥٠٨ه. للمزيد ينظر: السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٦٥٠هـ)، الانساب، تعليق: عمر البارودي، دار الجنان (بيروت ــ ١٩٨٨)، ج٢، ص١٠١.

٢٩) السمعاني، المصدر نفسه.

٣٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٤٥٣.

٣١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٦ مقدمة المؤلف .

٣٢) المصدر نفسه، ج١، ص٧.

٣٣) العزاوي، عبد الرحمن، المنهجية التاريخية في العراق، ص٦١.

٣٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٦١، احداث سنة ٢٩٨.

٣٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٥٠١ احداث سنة ٣٠٦ .

٣٦) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٧٥ احداث سنة ٣٠٠.

٣٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٥، احداث سنة ٣١٣ .

٣٨) المصدر نفسه، ج٧، ص١١٥، ص١٣٢، ص٢٢٢ـ ٢٢٥، ص٢٣٩، ص٢٣٥ .

٣٩) المصدر نفسه ،ج٦، ص٤٥٩.

٤٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٨٩ .

٤١) المصدر نفسه.

٤٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٧١.

٤٣) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٦، ص٤٧١ .

٤٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٧٢ .

٤٥) المصدر نفسه.

٤٦) المصدر نفسه ،ج١، ص٧ مقدمة المؤلف.

٤٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢١٠.

❊ ❊ ❊